الرأي, زوايا, كلمات

22 يناير 2024 00:45 صباحا

العبرة لمن اعتبر

الكاتب

إبراهيم الهاشمي

تروي إحدى القصص الشعبية العربية القديمة المتداولة في بطون الكتب، أن ملكاً من ملوك العرب القدماء كان ذا صولة وجولة ومكانة رفيعة وصيت بين القبائل العربية كلها، فحدث أن اعتقل في قبيلته رجلاً من قبيلة أخرى، فاجتمعت القبيلة الأخرى بعد سماعها بالخبر مستنفرة بقضّها وقضيضها، وقررت بالإجماع بعد النقاش والتداول الذهاب إلى تلك القبيلة، جامعة كل شيوخها وأمرائها لتشفع لدى الملك في أسيرها.

وحينما بلغوا ديار ذلك الملك ودخلوا عليه ورأى جمعهم الكبير من الشيوخ والأمراء، قال لهم الملك مستغرباً: من هذا الرجل الذي جئتم جميعاً لتشفعوا فيه؟ فكان ردهم جميعاً وبصوت واحد ونبرة واحدة قائلين: هو ملكنا أيها الملك، فتعجب الملك من ذلك ورد عليهم قائلاً: لم يخبرنا عن نفسه، فقالوا: لقد أنف أن يذلّ نفسه، فأراد أن يريك عزته بقومه، عند ذلك أكبر الملك صنيعه وصنيعهم، وأخذه الإعجاب بشهامته وعزته واعتزازه بقومه، واعتدادهم به، فأطلقه لهم.

لكن بعد مرور مدة قصيرة من الزمن جاءه الخبر ينبئه بأن ذلك الرجل الذي أطلقه ما هو إلا راعٍ من رعاة الإبل عندهم، فتعجب الملك من صنيعهم حينما جاءوه، واستغرب فعلتهم من أجل مجرد راعٍ لديهم، فأرسل إليهم رسله مستفسراً مستفهماً عن صنيعهم الذي صنعوه، وسعيهم الذي سعوه من أجل مجرد راعٍ للإبل، فجاءه الرد منهم مذهلاً غنياً بالعبرة والعزة والشمم والأصالة، والذي كان مفاده: بأنه لا أمير فينا إن ذلّ راعينا.

ما ذكرته ليس مجرد حكاية عربية نمرّ عليها مرور الكرام، بل هي عِبرة من عبر العرب الكثيرة التي سطروها، نعتبر منها ونتعلم من خلالها فنّ التعامل والسلوك، وتضيف لنا ولشخصياتنا معنى العزة والكرامة وقيمة الفرد في أمته ووطنه ومجتمعه وبين أهله وناسه مهما صغرت وظيفته أو قلت مكانته، وما هي قيمة التماسك والتلاحم بين أفراد المجتمع.

هناك الكثير من القصص والحكايات الشعبية العربية والمحلية ليست مجرد حكايات للتسامر أو تمضية الوقت، بل هي

مصدر للحكمة والعبرة والتعلم، وبطون الكتب وذاكرة الآباء والأمهات حفظت لنا الكثير من تلك الحكايات التي يمكن توظيفها بشكل إيجابي في العديد من النواحي الاجتماعية والتعليمية، وإحياء محتواها غزير العبر والقيم الرفيعة لتنمية القيم والعادات، وتأصيل الشخصية لدى الأبناء، وبث روح العزة والكرامة فيهم.

العِبرة ليست في الحكاية، لكن العبرة كيف يمكن أن نستفيد منها.

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©